وبكى فقال له مروان ما يبكيك قال ما اي شيئ كنت عنه عزوبا
كبرت سني ورق عظمي وكثرت الدموع في عيني ورميت
في احسن ما ليد وامني ولولا هواي في يزيد ابصرت
قصدي فتامل هذا الكلام البليغ منه الدال على ما عنده
من العلم والمعرفة لاسيما قوله اولا واني لارجو ثابتا
وما اياس فانه فرقه بين هذين المقامين مبني على غاية
الرجا والخوف وانهما مستويان عنده كما هو الاصح
عندنا في حق الصحيح واما المريض فالاولى له تغليب
رجائه على خوفه لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا
وفي رواية لا يموتن احدكم الا وهو يحسن ظنه بربه
اي يظن انه سيغفر له ويرحمه وتامل قوله وان كان مرض
مني عضو الى اخره تجد اصلا عظيما في الرضا بالقضا بل
وفي الشكر لان الانسان اذا نزل به مرض في عضو من
اعضائه فينبغي له الرضا بذلك والشكر لربه لانه وان
ابتلاه بمرض عضو فقد ابقى له اعضا لا تنحصر سالمة
من المرض وهذه نعم كثيرة لا تحصى في مقابلة بلية واحدة
فليرض بهذه البلية ويشكر على تلك النعم ليكون من جملة
الراضين الشاكرين الذين هم افضل العارفين واعلم
العلما العاملين وقوله وجد مني بعض خاصتكم الى اخره
تجده غاية في التسليم والتسلي اي ان فرض ان بعض خاصتكم
غضب علي فلا يوثر غضبه في لانه ان كان عن غير موجب
فظاهر او عن موجب فينبغي ان اسامح في ذلك لان تكررت
مني الصلاة الكثيرة لعامتكم فلتكن هذه بتلك وقوله لعله الصلات
فما لي ان اتمنى الى قوله الاعتراف بتوالي نعم الله عليه وانه

قانع

قانع بما وصل اليه من النعم ساكت عن تمني اكثر من ذلك
فانه قد يكون للنفس فيه حظ وكل ما لها فيه حظ ولو بالقوة
ينبغي تركه والاعراض عنه قوله رحمه الله اي فيه غاية
التواضع واظهار الافتقار والاحتياج الى دعا الرعية وانه
واحد من جملتهم محتاج اليهم وقوله كبرت سني الى فيه
اظهار الافتقار الى الله تعالى وانه بعد ان وصل الى هذه الامور
صار ضعيفا عاجزا لا قوة له على الملك وما يحتاج اليه
الا بمعونة عظيمة له من ربه وقوله ولولا هواي الى
فيه غاية التسجيل على نفسه بان مزيد محبته ليزيد اعمت
عليه طريق الهدى واوقعت الناس بعده مع ذلك الفلق
المارق في الردى لكنه قضا الحتم وقدر انبرم فسلب عقله
الكامل وعلمه الشامل ودهاه الذي كان يضرب به المثل وزين
له من يزيد حسن الفعل وعدم الانحراف والخلل كل ذلك
لما اشار اليه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم من انه
اذا اراد الله انفاذ امره سلب ذوي العقول عقولهم حتى
ينفذ ما اراده تعالى فمعاوية معذور فيما وقع منه ليزيد
لانه لم يثبت عنده نقص فيه بل كان يزيد يدلس على ابيه من
يحسن له حاله حتى اعتقد انه اولى من ابنا بقية اولاد
الصحابة كلهم فقدمه عليهم مصرحا بتلك الاولوية التي تخيلها
ممن سلط عليه ليحسنها له واختاره للناس على ذلك انما
هو لظن انهم انما كرهوا توليته لغير فسقه من حسد ونحو
ولو ثبت عنده ادنى ذرة مما يقتضي فسقه بل او اثمه
لم يقع منه ما وقع وكل ذلك دلت عليه هذه الكلمة الجامعة
المانعة وهي قوله ولولا هواي في يزيد ابصرت قصدي فتامل
ذلك لتحيط منه بما ذكرته وفتحت لك باب ما بقي في كلامه

Copyright © King Saud University